د. سامي الأحمد ..ثروة معرفية

باسم عبد الحميد حمودي

هذه مناسبة عزيزة للاحتفاء بشخصية ثقافية عراقية نادرة هي شخصية الباحث الأستاذ الدكتور سامي سعيد الاحمد، وهو شخصية أكاديمية نذرت جهدها لخدمة الثقافة العراقية عبر دراستها لتاريخ العراق القديم والانغمار في تفاصيله المعقدة الممتدة حضارياً إلى يومنا هذا، والتأسيس بعد ذلك لمدونات معرفية في هذا التاريخ تكشف عن قدرة هذا الإنسان المتألق على التأثير والكشف والاضافة، عبر منهجه التحليلي في التعامل مع الاثر التاريخي مناطقياً، جغرافياً وانصرافه إلى الكشف الدلالي اللغوي للمفردة الأثارية وعبر بحثه الميداني في صحارى العراق وسهوله عن الآثار العراقية ومشاركاته في المؤتمرات الدولية حول تاريخ العراق القديم في الداخل والخارج وترجمته الدقيقة لملحمة جلجامش عن لغتها الأصلية ومؤلفاته الكثيرة في العراق القديم ولغاته، وكتاباته في تاريخ الخليج العربي وتاريخ فلسطين، ودراساته في اللغات العراقية القديمة، وبحوثه القيمة عن سميراميس والسومريين وعن الاصول الأولى لأفكار الشر والشياطين وغير ذلك.

ان أ.د.سامي سعيد الأحمد ثروة معرفية لا تكتفي بايراد المعلومة التاريخية بل بضخ التفاصيل الدقيقة حولها ودراسته في الشر والشياطين دراسة نموذجية تعد سياحة فكرية متكاملة في دافعية الشر وفي رموزه واشكاله لدى الشعوب والأوهام الشائعة حوله كما ان دراساته في الحيوانات - والنباتات وآثارها على الإنسان العراقي القديم في سلسلة مقالات نشرتها مجلة (التراث الشعبي) في الثمانينيات تعد دراسات مؤسسة يرجع أليها كمصادر غنية.

ولسامي الاحمد حضور معرفي تاريخي دولي تجلي في صداقته للأستاذ توينبي واحترام مؤرخي العالم القديم له في شتى جامعات العالم وحضوره الدائم والمتميز لمؤتمرات البحث التاريخي في العالم القديم في الجامعات الأوروبية والأمريكية وما هذه الصفحة المخصصة له إلا رسالة محبة وتكريم لاستاذنا الرائد سامي سعيد الأحمد متعه الله بالعافية.

العالم سامي سعيد الأحمد

ترجمة جديدة لملحمة جلجامش وكشف عن تأثيرها الثقافي والديني

ناجح المعموري

عندما كلفني القسم الثقافي في المدى للاحتفاء بالأستاذ سامي سعيد الأحمد، لم يكن صعباً عليّ حسم الأمر والانشغال بملحمة جلجامش التي ترجمها وصدرت عن دار الشؤون الثقافية / عام ١٩٩٩ وبسبب علاقتي الثقافية التي تحولت الى مشروع معرفي مكرس بالنص المعروف، سأتحدث عن ترجمة الأستاذ الأحمد وأهميتها البالغة واختلافاتها الكثيرة عن عديد من الترجمات التي اطلعت عليها ووجدت في ترجمته مالم أجده في غيرها، وهي بحق قد وفرت لي مجالا واسعا للمقارنة والاكتشاف بالارتباط مع ثلاثة عشر نصاً للملحمة اطلعت عليها بشكل دقيق، ولكن ترجمة الأستاذ الأحمد هي المهيمنة في مشروعي الثقافي الخاص بها ووجدت اختلافات أساسية وجوهرية عن النصوص الأخرى وسأحاول الإشارة لأهم تلك المراكز الاختلافية في النص ومناقشة الأهمية القصوى التي انطوت عليها المقدمة المهمة التي كتبها أستاذي العالم سامي الأحمد، وهي بحق واحدة من الدراسات المهمة جداً والتي انطوت على موسوعية في القراءة والتحليل والإضافة وهذا ما سأشير اليه أيضا ولابد لي من الإشارة للأهمية العالية التي تمتعت بها الترجمات الأخرى وخصوصاً ترجمة العالم طه باقر التي اتسمت بالأدبية والمحايدة، بينما اغتنت ترجمة الأستاذ الأحمد بإمكانات جيدة في الانفتاح امام القراءة وتوفير فرصة جيدة للتأويل والإمساك بمراكز ثقافية ولاهوتية مهمة في النص، بحيث قدمت توصيفاً عن المجالات المركزية في العراق القديم وحصراً في المجال السياسي / الديني / الاجتماعي ونشوء أنماط من المغايرة والاختلاف في الأنظمة التي عاشت تجاذباً وصراعاً، تحول بالأخير الى صراع دموي، يومئ الى طبيعة المرحلة السياسية التي كانت سائدة آنذاك.

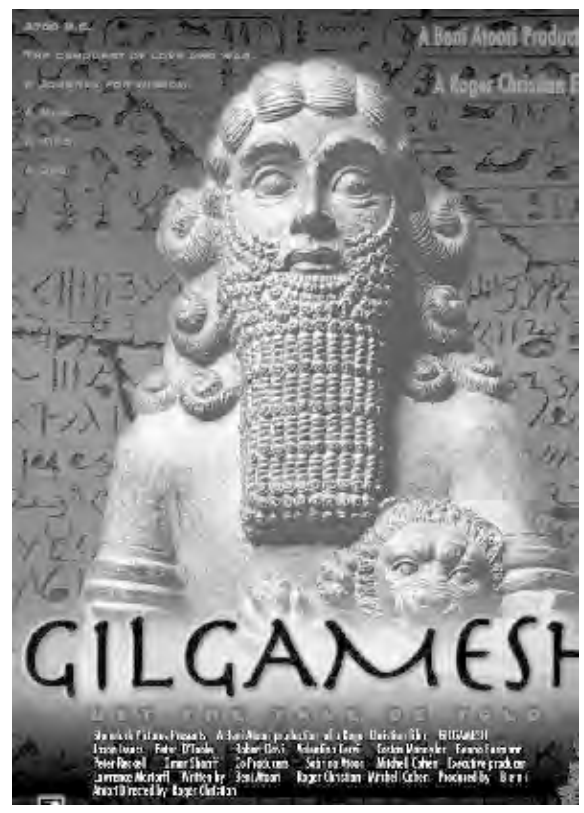

بعد ان خلقت الالهة (ارورو) انكيدو نداً وخصماً للملك الطاغية، اتفق الصياد والملك على ان يصطحب معه ابن الصياد كاهنة رغبات ويذهبان الى البرية حيث مكان انكيدو، الحيواني / المتوحش، حتى تعيد كاهنة الرغبات صياغة عناصره من حيوانية الى إنسانية، بمعنى كانت للجنس وظيفة ثنائية واهم مافي هذه الثنائية هو قدرة الجسد الانثوي على اشباع الرغبة لدى انكيدو الوحش، وإعادة تكوينه من جديد، وتوفير فرصة واسعة امام الكاهنة كي تمارس دوراً ثقافياً وليس جسدياً فقط وهذا أمر مهم بالنسبة للحضارة العراقية القديمة التي فوضت الانثى / الكاهنة كي تلعب من جديد دوراً بالغ الاهمية في تكوينات انكيدو عبر الاتصال الادخالي الطويل بين الاثنين مفتاحاً كي يأخذ الجسد الانوثي مداه الواسع في اعادة تكوين شخصية الرجل الغريب وصياغته بشكل مختلف تماماً. هذه الوحدة الثقافية واحدة من الوحدات النصية المهمة التي شكلت مع غيرها نظام النص الجوهري، واتفقت كل الترجمات على فاعلية واهمية هذه الوحدة التي كانت آنذاك وظيفة دينية مقدسة، لكن ترجمة الأستاذ الأحمد مغايرة تماماً ومختلفة عن كل الترجمات وهذا التباين هو الذي كشف لي عن وجود علاقة مثلية بين انكيدو والملك جلجامش. ومع الإشارات الواضحة التي تبدت عنها ترجمة الأستاذ الأحمد فتحت مجالاً للقراءة والتأويل بالنسبة لي لكنها أضاءت لي المثلية بين الاثنين وبقيت متابعاً لها عبر النصوص المترجمة وتوصلت الى قراءة داعمة للاتصال المثلي بينهما (الدراسة غير منشورة) وقد أومأت الى ذلك في عديد من المقالات التي نشرتها في التسعينيات وصرحت بها في الاماسي الثقافية والندوات.

اكشفي جسمك العاري وليتمتع بمفاتنك
اجعليه يصعد على الظهر ويتمتع
فعندما يراك سوف يقترب منك
اطرحي الثياب ودعيه يستلقي عليك
وسيضغط صدره بقوة على ظهرك
وضغط صدره بقوة على ظهرها

النص واضح في كشفه عن تحقق اتصال سلبي مع كاهنة الرغبات ومن الممكن ان يكون الاتصال الادخالي ايجابياً لان الكاهنة تعاملت معه بوصفه حيوانياً ولايعرف غير طريقة الاتصال الادخالي بين الحيوان وانثاه، بحيث تكرست الصورة في ذاكرته وظلت ملازقة له. لكني اعتقد بان المتحقق هو اتصال سلبي لان اللواطة ممارسة جنسية شائعة ومعروفة وتمارس داخل المعابد الدينية باعتبارها معتقداً دينياً عرفته الشعوب المجاورة للعراق وكشفت التنقيبات عن أعمال فنية مثل الاختام والمنحوتات تشير للاتصال الجنسي السلبي مع المرأة، ومايؤكد افتراض هذا التأويل هو التعطل الكامل للطاقة الجنسية الاسطورية في جسد انكيدو والتي اشارت لها الملحمة حيث استمر متصلاً مع البغي الكاهنة ستة أيام وسبع ليال وهي فترة طويلة جداً، وبعد هذا التحقق الاسطوري تعطلت قدرته، ولم يشر نص الملحمة لممارسة جنسية واحدة مارسها انكيدو بعد دخوله مدينة أوروك وهذا أمر صعب احتماله بالنسبة لرجل قوي جداً مثل انكيدو، وعرف عبر الممارسة اللذة ونتائج الاتصال المغيرة له. والأمر الآخر الأكثر أهمية والمؤكد على الاتصال المثلي بين الاثنين هو انقطاع الملك جلجامش عن ممارسة الجنس بعد ما كان مجنوناً بالرغبات:

لم يترك جلجامش ولداً لأبيه
واستمر ظلمه بالزيادة ليلاً ونهاراً
جلجامش راعي اوروك ذات السور
هو راعينا... القوي الجميل العارف
لم يترك جلجامش بنتاً عذراء الى امها
او ابنة محارب، او زوجة بطل
وظل الالهة يسمعون بكاءهن باستمرار

يفضي بنا هذا النص نحو معرفة بالطاقة الجسدية التي يتمتع بها الملك جلجامش ودليل ذلك استمرار ممارسته لفعل الاتصال الادخالي، وانا أدرك بان بعضاً من تلك الممارسات هو وظيفة دينية سمحت له بحق ممارسة الجنس في الليلة الاولى وقبل دخول الزوج، وهو مايسمى بحق الليلة الأولى الممنوح للملوك او الكهنة مثلما هو معروف لدى كثير من القبائل في العالم وحتى في الشرق الأدنى وبعض بلدان افريقيا. لقد توقف جلجامش عن ممارسة هذا الحق وهو من المسكوتات عنها في نص الملحمة وقدمت قراءة تفصيلية لذلك في مشروعي الثقافي المكون من ثلاثة كتب عن الملحمة والذي من المؤمل صدوره عن دار المدى في بداية العام القادم ولكن مايعني هذا المقال هو الانقطاع الكلي عن الممارسة الجنسية متماهياً بذلك مع صديقه انكيدو الانقطاع عن الممارسة تماماً بالنسبة لهما آثار عدداً من الأسئلة حول ذلك.. وكان افتراض وجود الاتصال المثلي بينهما احد الأجوبة التي كرستها القراءة ضمن أنساقها النصية في الملحمة وفي غاية الأهمية بالنسبة لطبيعة الثقافة ومستوى تداولها في مدينة اوروك خلال مرحلة حكم جلجامش عام ٢٦٠٠ ق.م والنص الذي اشرنا اليه واحدة من خاصيات الأستاذ الأحمد في ترجمته للملحمة. واعتقد بان واحداً من أسباب اغتيال انكيدو هو المثلية بينهما، ولهذا تحمس الإله انليل لإصدار قرار الاغتيال، لأنه انليل مسؤول السلطة التنفيذية في مجلس الإلهة وهو أيضا الذي يختار الملوك ممثلين له على الأرض، واختارجلجامش ممثلاً لسلطته وجعل رأس الملك عالياً

كتب د.سامي سعيد الأحمد دراسة مهمة عن الملحمة متضمنة ثلاثة فصول، الأول خاص بمدينة أوروك وتاريخها والثاني مكرس لاسم جلجامش وحياته الاولى وتضمن الفصل الثالث تعريفا بفترة حكم جلجامش ومايمكن الاشارة اليه بسبب اهميته هو الاتساع في توفير مساعدات القراءة ثقافياً / ودينياً من مثل تعريفات الآلهة المهمة في النص مع تعريف بالمدن العراقية المهمة مثل كيش.

واعتقد بان اهم ماتضمنته ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد هو وفرة المعلومات التاريخية والعناصر الثقافية الدينية، وما يلفت الانتباه بالجهد الذي قدمه إشارته لظاهرة الطوفان، ليس في العراق القديم فقط وانما في العالم. وأسهب بالتفاصيل الخاصة بالطوفانات الحاصلة في فجر الحضارات الإنسانية وقدم أسباباً لها ووفر فرصة نادرة للقارئ كي يكشف عن الطوفانات في التاريخ وغضب الالهة الذي كان سبباً مهما في حدوثها. وقدم الأستاذ الأحمد توصيفاً للتناص الموجود في عديد من الأساطير والملاحم في التاريخ، وكشف عن تأثيرات الملحمة بوصفها نصاً أولياً في أساطير وآداب وملاحم العالم، واعتقد بأنه رائد في هذا المجال لانه قدم ما يمكن الاستعانة به لمعرفة حجم التأثر بالنص العراقي الأول. كما برع في تقديم المسوخات التي عرفتها الأساطير الإغريقية تماهياً مع المسوخات المشار إليها في الملحمة والتي كانت هي عقوبة عشتار لأزواجها ومحبيها.

ودراسة د. سامي سعيد الأحمد " نظرات في ملحمة جلجامش " واحدة من اهم الدراسات المدونة عن النص واستطاعت قراءة النص مع العشرات من النصوص الأسطورية المتجاورة معه كاشفاً عبر ذلك عن أهمية الملحمة ومؤكداً الإمكانات المتوفرة لديه في البحث عن الأصول على الرغم من استحالة ذلك وصعوبته مع معرفتنا بالموقف الفلسفي عن الأصول وخصوصاً رأي نيتشه مثلاً وميشيل فوكو، لكن د.سامي سعيد تعامل مع الأصول والبدايات البكرية من خلال المدونات أولاً وبواسطة الاقتراب من النص أكثر فأكثر، محاولاً الكشف عن المحيط الحضاري، مهما كان متسعاً ومتشعباً، لان د. الأحمد يمتلك قدرة عالية في التحليل، وساعدته على ذلك الخبرة المتراكمة والهائلة في النصوص والعقائد والشعائر، كل هذا هو المساعد له والذي فتح إلينا نافذة عميقة جداً، وفرت لنا متعة كبيرة، متعة القراءة والاكتشاف، ومتعة الاتساع في قراءة المتماثل من الأساطير والعقائد، حتى تبدت ملحمتنا نصاً فريداً. وأعود لتأكيد محاولة العالم الكبير الأستاذ سامي سعيد الأحمد في ملاحقة الأصول حيث انطوت بشكل من الأشكال على الموقف الفلسفي الذي فتح مجالاً للبحث عن البدايات التي تبدو فعلاً مستحيلة وتقود نحو ميتافيزيقيا جديدة كما قال فوكو، لكني أجده تعامل معها الأصول بالتوصيف الهايدجري المعروف وهو الكيفية الخاصة بالتشكل وليس البداية، لان ذلك البداية أمر معقد وفي غاية الصعوبة. أخيرا تظل ترجمة الأستاذ الأحمد لملحمة جلجامش واحدة من أهم الترجمات العراقية وكان لها في حدود متابعتي تأثير على ترجمات عربية، ربما ترجمة فراس السواح هي الأقرب إلينا، حيث جعل منها ومن ترجمة العالم طه باقر معياراً للمقارنة في ترجمته لملحمة جلجامش، وربما تكون لنا فرصة أخرى للحديث عن ترجمة العلامة المرحوم طه باقر. أخيراً تمنياتي لأستاذي ومعلمي سامي سعيد الأحمد بالعمر الطويل والصحة وان يتمكن من مغالبة المرض، وما علينا الآن إلا العودة لما ترك لنا من تراث ضخم جداً والتعلم منه والتزود من تواضع العالم لديه...

سامي سعيد الاحمد ..سيرة وآراء وكتب

د. صبام نوري المرزوك

لم تكن بابل ببعيدة عن المدينة التي ولد فيها سامي سعيد الاحمد من بني مسلم من آل عقيل المنحدرين من ربى ناحية الكفل على ضفاف نهر الفرات الى مدينة الحلة ليسكن اجداده في زقاق من ازقة محلة المهدية الى جنب بيت آل كربل وآل السباك وآل خوجة نعمة وآل شميس وآل ربيع حيث يرقد علم من اعلام مدينة الحلة وشاعر من ابرز شعراها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وهو الشيخ علي الشفهيني وحينما صحبه والده في زيارة الى متحف الآثار العراقية في بغداد سأل اباه: ما قيمة هذه الاحجار يا ابي؟ وكان الجواب: هذه لا تقدر بثمن، ولم يفهم المعنى لكنه تيقن انه لم يقل ذلك عبثا. كان ابوه يعلمه شيئاً دفيناً في الاحجار وقال له ابوه في وصية: المهم يا بني ان تستوعب المعرفة، وهكذا دفع الاب بأبنه متخصصاً في التاريخ ليرث من بابل اسمها لانها تحمل رمز تاريخها وهو قانون انتشار حرية العلوم في الارض التي قامت على اديمها اولى الحضارات الخالدة.

ولد في الحلة سنة ١٩٣٠ ونشأ بها لأب تاجر يملك اراضي زراعية يحب العلم والمطالعة رافض للخرافة، تثقف عن طريق قراءة المجلات العربية فقد كانت تصله عن طريق الاشتراك وهي مجلات: المصور واللطائف المصورة وكل شيء والدنيا والاثنين والحرب العظمى والعرب والمقتطف وكان لسامي ان يصطاد فرصة قراءتها ومناقشة ما يرد فيها من امور التاريخ. وكانت اخته وهو في الصف الرابع الابتدائي تقرأ له قصص الاطفال كما هيأت له كتب المدرسة فرصة التعرف على المادة التاريخية فقد اثر فيه الاستاذ قاسم خليل معلم المدرسة الابتدائية وكان يقول له: انك تحب التاريخ. وفي الدراسة الثانوية التي انهاها سنة ١٩٤٨ رعاه الاستاذ عبد الجليل جواد الذي كان يوصيه: يا سامي اربط الماضي بالحاضر في دروس التاريخ الحديث، وكانت امنيته المتحققة ان يقبل في قسم (التاريخ والجغرافية) في دار المعلمين العالية ببغداد ويرى اساتذته الكبار مثل طه باقر في دقته للمصادر وحرصه على الوقت وزكي صالح في البحث عن ما هو غير مألوف في بطون التاريخ. وبعد تخرجه سنة ١٩٥٢ عمل مدرساً لمادة التاريخ في النجف والكوفة والهندية. كتب عدداً من المقالات التاريخية في جريدة (صوت الفرات) لصديقه السيد علي القزويني عن ابن الراوندي واصل السومريين والحركة الرومانتيكية.

ترشح لبعثة دراسية الى الولايات المتحدة وحصل على شهادة الماجستير في جامعة شيكاغو سنة ١٩٥٧ وشهادة الدكتوراه في جامعة ميشغن سنة ١٩٦٢، ومنحته الجامعة لقب (استاذ مساعد) بعد تخرجه فيها مباشرةً وهي ظاهرة فريدة في العالم. تعين استاذاً لمادة (التاريخ القديم) في جامعة دنفر من سنة ١٩٦٣، ١٩٦٧.

وهو في الفترة التي قضاها في الولايات المتحدة كان مستشاراً لعدد من البرامج التلفزيونية في قضايا الشرق الاوسط والادنى واليونان والرومان وركز على القضايا العربية لا سيما قضية فلسطين، كما كان يشترك في الندوات العلمية ويجيب عن الاستفسارات التحريرية الكثيرة التي كانت ترده من انحاء مختلفة كما ان عدداً من الباحثين كانوا يستأنسون بأرسال ابحاثهم اليه كي يعطي رأيه فيها. كما وثق علاقته باعلام التاريخ في الغرب ولعل ابرزها صداقته للمؤرخ (توينبي) التي ترجع الى عام ١٩٥٥ وتطورت حتى عام ١٩٦٤ حيث قاما بالتدريس في جامعة واحدة وتهيأت فرصة عن تعرف الواحد على آراء الاخر عن كثب.

قرر الدكتور سامي العودة الى العراق سنة ١٩٦٧ وعمل في جامعة بغداد بكلية الاداب ومنها تنسب للعمل في كليتي التربية والشريعة في مكة المكرمة ومسح تاريخ مكة بكل دقة. ثم عاد للعمل في قسم التاريخ في جامعة بغداد ونشر مقالاته في دوريات الثقافة والاعلام باللغة الانكليزية مثل جريدة بغداد اوبزرفر والعراق اليوم وكان يخاطب العقل الاجنبي ويحاوره بالحضارة العراقية اضافة الى تأليفه الكتب حتى تقاعده في نهاية التسعينيات، وعينه قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة مستشاراً تاريخياً له.

وكان له منهج في التنقيب عن الحقائق الخفية في التاريخ القديم اذ هو يعتمد على البحث الميداني في تأليف كتبه فكان يذهب الى المدن العراقية القديمة ويلتقي بالمواقع وفي يده الخرائط واذا ما كتب عن الملل والنحل زار اصحاب هذه الملل واجتمع بهم وسمع منهم مباشرة.

واذا ما اراد ان يكتب موضوعاً قام اولاً بأعداد قائمة بما تمت كتابته عن هذا الموضوع بكل اللغات ثم يقوم بعد ذلك بتوفير المراجع ويضع على ضوء قراءته الخطة المطلوبة حيث يرسمها ويعين الاسلوب الذي يتخذه لتنفيذ الخطة.

ومن آرائه انه يعد الشعر العربي مصدراً مهماً في دراسة الشعر العربي ويرى ان الشاعر العربي قد وضع القاعدة الاخلاقية التي نادى بها النبي محمد (ص) منهجاً ثابتاً بتغير دوله وانهيار الامم اساساً مهماً في نشوء وسقوط الامم.

وفي تدريسه مادة التاريخ كان يستعمل الجدية في توضيح معادلات التاريخ ويشد الطلبة اليه شداً بكثرة الاسئلة.

وفي نشاطه العلمي انه شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العالمية منها: مؤتمر التاريخ في جامعة دنفر ١٩٦٤، مؤتمر جمعية المعلمين بالمانيا الغربية ١٩٧٤، مؤتمر شرق الجزيرة العربية في قطر ١٩٧٦، والمؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام الذي اقامته الجامعة الاردنية في عمان ,١٩٨٣

واحتفاء بما قدم كان عضواً في عدد من الجمعيات والهيآت العلمية والقطرية والعربية والعالمية مثل: جمعية اساتذة الجامعات الامريكية ١٩٦٥، جمعية شمال امريكا لدراسات الشرق الاوسط ١٩٦٦، جمعية فاي الفاتينا (جمعية امريكية فخرية مدى الحياة لكبار مؤرخي العالم) ١٩٦٧، معهد دراسات اواسط وغرب اسيا (في الباكستان)، معهد شؤون الشرق الاوسط وشمال افريقيا، اتحاد المؤرخين العرب ١٩٧٤، هيأة المؤرخين والاثاريين العراقيين ١٩٧٠، ,١٩٨٣

وفي الوسط الجامعي اشرف وناقش العشرات من الرسائل الجامعية في داخل العراق وخارجه.

وقد ألف باللغتين العربية والانكليزية عدداً من الكتب منذ عام ١٩٦٥ وهي: الاسلام نظرياً وعملياً، جنوب العراق في زمن الملك اشور بانيبال، الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية، الاصول الاولى لافكار الشر والشياطين، السومريون وتراثهم الحضاري، حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية، الاله زووس، اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم، ملحمة كلكامش، العراق القديم حتى العصر الاكدي، المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، تاريخ فلسطين القديم، تاريخ الخليج العربي، المدخل الى تاريخ العالم القديم، دراسات في اللغة الاكدية، سميراميس.

ومما يؤسف له ان هذا العالم العراقي الذي تميز بتخصصه الدقيق لم ينل تلك الرعاية التي تليق به لما قدمه الى عالم المعرفة ليكون قدوة لمن يجيء بعده من الباحثين ومحبي الاثار والتاريخ القديم.

الأحمد: جبل التاريخ الأشم

د.هديب غزالة

في أسرة عربية الأصل حلية السكن أهتمت بالثقافة والأدب والتاريخ ولد مؤرخنا الكبير سامي سعيد الأحمد عام ١٩٣٠ مستمداً ولعه وشغفه بالتأريخ وتحليل احداثه من والده التاجر الذي كان مهتماً بمتابعة وشراء ما يصدر من كتب تاريخية ودواوين شعر ومجلات كانت تصدر في النصف الأول من سنوات القرن الماضي فضلاً عن ولعه باطلال الآثار القديمة ومتاحفها، هذا الولع الذي دعا الوالد يوما إلى ان يصطحب ابنه سامي إلى متحف الآثار القديمة في بغداد ليرى المخلفات المادية لأجداده التي أثارت في نفسه العديد من الأسئلة المتلاطمة التي كانت تحتاج إلى تفسير وتحليل وكان عليه ان يجد لها حلولاً في المستقبل، وكما يشير سجل المدرسة الأساسي له في مدرسة الحلة الشرقية أنه أنهى دراسته الابتدائية فيها عام ١٩٤١ مسجلاً درجة متميزة في مادة الاجتماعيات في الامتحانات العامة لتلك السنة وهي (٨٧) مما يشير إلى نبوغه في دراسة التاريخ والجغرافية معاً فهو يؤمن وكما يقول (ان التاريخ بلا جغرافية هو علم بلا هوية).

وفي ثانوية الحلة صادف ان درسه فيها آنذاك المدرس المتميز عبد الجليل جواد (الدكتوراه فيما بعد في اختصاص عصور قبل التاريخ) الذي كان له الفضل في توجيه تلميذه بأن يقرأ التاريخ بعمق وتحليل ويبتعد عن السطحية ولهذا فأنه تعلم من مدرسه طريقة الاستنباط في تحليل الاحداث التاريخية وذلك ساهم في وضع اللبنة الأساسية الأولى لمشروع مؤرخ عراقي عرف بدماثه خلقه وبنشاطه الدؤوب وعلمه الغزير ليكون سليل المؤرخ البابلي كابيت . ايلاني . مردوخ الذي يعد من أوائل المؤرخين العراقيين الذي تركوا اسماءهم مكتوبة على كتاباته.

سامي الأستاذ الجامعي:

عرفت الدكتور سامي منذ ان قبلت طالباً في قسم الآثار (كلية الآداب) جامعة بغداد عام ١٩٧٨ بالرغم من انه كان استاذاً في قسم التاريخ إلا إني كنت أذهب لألقي التحية عليه لمعرفة عائلية قديمة كانت تربطنا لهذا فاني جالسته في أوقات متعددة في مكتبه ولمست منه حلاوة الكرم والاخلاق السامية وروح الدعابة وهذا أمر لا تعرفه إلا إذا تعاملت معه عن قرب لأنه يظهر عن بعد على محياه في شخصيته المهيبة والجدية والتي لا تعرف المجاملة في العلم وبنشاط متقد فكان الدكتور الاحمد من أوائل الأساتذة الذين يدخلون كلية الآداب قبل ان يبدأ الدوام الرسمي بساعة في الأقل بالرغم من انه يأتي ماشياً من منزله الكائن في حي المنصور وحتى مبنى الكلية في باب المعظم لأنه يحب رياضة المشي التي كان يتمتع بممارستها.

عندما تجلس معه لتستأذنه وتسأله سؤالاً علمياً بحاجة إلى اجابة فأنه ينهال عليك كالشلال الهادر بغزارة علمه وبذاكرته الوقادة حتى انك لا تلحق به لتسجل ما يقوله وتتضح غزارة علم مؤرخنا الكبير في مؤلفاته المهمة التي فيها معلومات تفصيلية عن تاريخ وحضارة بلاد الرافدين ومصر والشام، ومع كل هذا فأنه كان مصراً على عدم الاشراف على طلبة الدراسات العليا وعندما سألته يوماً عن سبب ذلك قال لي: (اني اعتقد بان على طالب الدراسات العليا ان يجيد لغة أجنبية إلى جانب ما يتمتع به من عربية سليمة وأني أرى ان اغلب طلبتنا لا يتمتعون بذلك).

اخلاق العلماء:

توطدت علاقتي باستاذنا الاحمد بعد قبولي في الدراسات العليا عام ١٩٨٧ فكنت أتردد عليه لاستشيره ببعض الأمور العلمية فكان مرحباً دائماً يعطيك المعلومة الدقيقة دون ان يشعرك بصغير حجمك إذا ما جلست امامه ويعطيك دفعاً معنوياً كبيراً يكون الباحث بحاجة إليه وهو يكتب عن موضوعه وإذا ما انتهيت من استفساراتك العلمية التي تطلبها منه يبدأ هو بالحديث عن بعض الأمور العامة والاجتماعية بتواضع قلّ نظيره وبروح مرحة لا تخلو من نكتة وتعليق نابعين من سرعة البديهية التي عرف بها.

في يوم من أيام شتاء عام ١٩٨٨ ذهبت إليه قبل بدء الدوام الرسمي فوجدته جالساً في مكتبه ولكن الحزن كان واضحاً على محياه الوسيم على غير عادته وبعد أن ألقيت عليه تحية الصباح رد علي التحية بنبرة حزينة لم آلفها منه من قبل وعندما استأذنته لأسأله عن سبب حزنه قال لي بالنص: (يا ابني لقد توفيت زوجتي) فبادرته بالمواساة الشرعية والاجتماعية وعرفت منه انه يقصد وفاة زوجته الأولى الأمريكية الجنسية التي تزوجها حين كان طالباً في جامعة شيكاغو عام ١٩٥٥ ثم أصبح استاذاً في جامعة دنفر قبل ان يعود إلى بغداد عام ١٩٦٧ وبعد أن رفع رأسه رد علي بهدوء: (انا مؤمن بحتمية الموت وهذا لا يحزنني ولكن حزنت لما منعتني الدولة من السفر لحضور مراسيم دفنها وفاء لها، أليس من حقي ان احضر دفن جثمان زوجتي؟) قالها بحزن شديد ينم عن صفة الوفاء السامي الذي يتمتع به الأحمد.

في عام ١٩٨٩ صادف وبعد ان انهيت كتابة رسالة الماجستير شكلت لجنة المناقشة واقترح اسم الأحمد ليكون رئيسها وعضوية كل من المرحوم الأستاذ الدكتور وليد الجادر والدكتور فاضل عبد الواحد اطال الله في عمره وطلب مني أن اذهب إلى الدكتور سامي لألتمس موافقته على ذلك وعندما ذهبت إليه قال لي مبتسماً: (كيف أوافق ان أكون رئيساً للجنة يكون الدكتور فاضل عضواً فيها، هذا غير ممكن ولكني اتشرف ان أكون عضواً في لجنة يترأسها الدكتور فاضل) وبعد أخذ ورد ودي بينهما مع رئاسة قسم الآثار بقي الأحمد مصراً على موقفه فكان عضواً في اللجنة التي ترأسها الدكتور فاضل، لقد تعلمنا من الاستاذين الكبيرين ومن موقفهما هذا درساً في نكران الذات واحترام كل منهما للآخر ومعرفة وتقدير العلماء الأفاضل بعضهم لبعض ما لم نتعلمه من الكتب.

كان الأحمد رائداً في تأسيس مدرسة عراقية متميزة بكتابة التاريخ لانه مؤمن بان العراقيين هم أول من أولوا اهتماماً واضحاً بكتابة وتدوين التاريخ وهذا ما استنتجه من حولياتهم الملكية التي وصلت ألينا وبعد ان تعايش مع السومريين وتعرف إلى بطلهم كلكامش وصاحب الملوك الآشوريين والبابليين وعرفنا على كل واحد منهم من خلال ما نقله إلينا في كتاباته العديدة المتواصلة مع الرقم الطينية لكتبة الوركاء ونفر ونينوى وبابل.

حفظ الله لنا الأحمد ذخراً للعراق لانه ثروة من ثرواته وسيبقى في أذهاننا على مر الأزمنة بما قدمه من جهود علمية لأنه عرف من كلكامش ان الإنسان يمكن ان ينال الخلود بأعماله.